تصديق الغرائب

ألّف احد الاساتذة الاميركيين كتاباً في موضوع علمي شرقي وبعث به الينا لننتقده له فرأيناه يذكر في اوائله ان الشرقيين اميل من غيرهم الى تصديق الغرائب عن غير ان يبحثوا عن علتها ومن غير ان يعرضوها على ميزان العقل والنقد فكتبنا اليه نقول انا اذا قابلنا بين معارفنا من الشرقيين والغربيين الذين تساوت وسائطهم العلمية لم نجد الشرقيين اميل الى تصديق الغرائب من الغربيين وذكرنا له امثلة المرسلين الذين يصدقون كل ما يروى لهم ولو ناقضهُ العقل او الاختبار وامثلة العلماء الذين يصدقون بمناجاة الارواح وانتقال الافكار ودلالة اساريرالكف وما شاكل مما لم يقم دليل على صحته . فاجابنا جواباً مسهباً ومما قالهُ فيهِ ان الحوادث التي تنسب الى مناجاة الارواح وافعالها قد بحثت فيها جمعية المباحث النفسية بحثاً علمياً مدققاً واحتاطت لكل ما يمكن وقوعهُ من الغش فثبتت لها صحة كثير منها مثل افعال اسابيا بلادينو وهي لا تعلل الاَّ بفرض من فرضين اما وجود الارواح وفعلها واما تأثير العقل في المادة وفعلهِ بها فعلاً مادياً

نقول وليس العبرة بالتعليل بل بصدق الحادثة التي يراد تعليلها وهو مثل قول احد ملوك الانكليز للجمعية العلمية الملكية لماذا اذا وضعنا اناء فيهِ ماء في ميزان وكان وزنهُ ووزن مائهِ كذا ارطالاً ثم وضعنا سمكة في الماء ولم يُرَق منهُ شيء بقي وزنهُ على حالهِ اي ان السمكة لا تزيد وزنهُ . فان هذه الحادثة اذا صحت لم يمكن تعليلها بنواميس المادة المعروفة ولكنها غير صحيحة واذا كان وزن السمكة رطلاً فوزن الاناء والماء يزيد رطلاً تماماً بوضع السمكة فيهِ . وما ينسب الى اسابيا بلادينو يحتمل ان يكون غير صحيح وان يكون العلماء الذين قالوا بصحتهِ مغشوشين اي مصابين بما يسمَّى بالاستهواء الذاتي ويحتمل ان تكون طرق الخداع خفية فلم يستطيعوا اكتشافها لانهُ قلما يوجد منهم او من غيرهم من يستطيع ان يكتشف كل حيل المشعوذين

كنا قبل كتابة هذه السطور تكلم في موضوعها مع احد آحاد العلماء فقال قولوا ما شئتم في حيل المشعوذين اما افعال المنومين فلا يمكن تعليلها بناموس طبيعي ولا ردها الى الحيل وانا لا استطيع ان اكذب مشاعري فقد رأيت بعيني المنوم ينوم امرأة ويضعها على كرسيين رأسها على كرسي ورجليها على كرسي آخر ثم ينتزع الكرسيين من تحتها ويبقيها معلقة في الهواء فضحكنا وقلنا لهُ هذه حيلة عملها وقد نشرنا تفصيلها في المقتطف غير مرة فلم يصدق انهُ يمكن ان توجد حيلة تجعل جسم المرأة يقف في الهواء فقلنا ليس الامر كذلك بل ان

المشعوذ اخرج من الحائط الذي وراء الكرسيين قضيباً افقياً من الحديد لهُ عارضة من الحديد ايضاً ومدّهُ تحت ظهر المرأة فحملها عليهِ ورفع الكرسيين من تحتها وهي لم تكن ثمة بل كانت متناومة . فوجد ان هذا التفسير معقولاً

وكان احد المشعوذين يطلب ان تربط ذراعاهُ معاً وراء ظهرهِ ويجعل اثنين من الاقوياء يمسكان طرفي الحبل ثم يفك يديهِ من غير مساعدة احد ويعيدهما الى رباطهما كذلك وقد حار العلماء الاوربيون والاميركيون في ذلك وحاولوا تعليلهُ بفروض تشريحية كتمدد العضلات وقوة المخل وما اشبه مع انهُ محض حيلة ولا شأن للعلم فيهِ وقد قلنا ذلك مرةً في جمهور من الاصدقاء فلم يصدقوا فطلب كاتب هذه السطور منهم ان يربطوا يديهِ معاً وراء ظهرهِ فربطوهما وشدوا الرباط جهدهم فاخرج يديهِ منهُ الواحدة بعد الاخرى ثم ردهما اليهِ واراهم الحيلة التي استخدمها لذلك فرأوها من ابسط ما يكون

ثم ان العلماء الذين شاهدوا اعمال اسايا بلادينو وداغوا عنها جهدهم مثل الاستاذ لمبروزو وقالوا انها تفعلها بقوة روحية هؤلاء العلماء انفسهم يقولون انها تمزج اعمالها الصحيحة بالحيل والخزعبلات وفسروا ذلك بان رغبتها الشديدة في نجاح اعمالها تدفعها احياناً الى استعمال الحيلة اذا رأت ان الروح لم تلبّها كما تريد . ويظهر لنا ان العمل الذي يكتشفون الحيلة فيهِ يقولون انهُ حيلة والعمل الذي لا يستطيعون ان يكتشفوا ما فيهِ من التحيل يقولون انهُ صحيح لا خداع فيهِ

اذا وقف الكهاوي في نادي الخطابة او نادي التعليم يظهر غرائب الاعمال الكهاوية كحرق الماس في الاكحين واشعال القصفور تحت الماء لم يحتج لادهاش سامعيهِ وناظريهِ الى شيء من الحيل والشعوذة . واذا لجأ الى الحيل فذلك شبهة كبيرة على قصر معارفهِ الكهاوية وفساد دعاويهِ فيها وهذا شأن مناجي الارواح فانهم اذا كانوا يناجون الارواح حقيقة وكانت الارواح خاضعة لهم فما تعملهُ وحدهُ كافٍ لاثبات دعواهم فلماذا يلجأون الى الحيلة والخداع وما ادرانا ان ما لم نكشف خداعهم فيهِ ليس خداعاً مثل الذي كشفناهُ . وزد على ذلك فان الحق يعصم اصحابهُ عن الخداع ولا يعقل ان يكون انسان على حق ودليلهُ فيهِ واضح مقنع وهو يلجأ الى الحيل والاخاديع

هذا ودعاوي المدعين مناجاة الارواح وحلول ارواح الموتى فيهم كثيرة عند الاوربيين والاميركيين تنشرها مجلاتهم كما تنشر المكتشفات العلمية . نشر الدكتور جس هملب في مجلة جمعية المباحث النفسية الاميركية ان رجلاً اسمهُ المستر ثمسن تعلم مبادئ فن

التصوير الاولى وفي اواخر سنة ١٩٠٥ بدت منهُ رغبة شديدة في الرسم والتصوير وجعل يقول ان جفورد يريدهُ ان يصوّر . وجفورد هذا مصوّر التقى طمسن بهِ عرضاً في الريف وكان طمسن يصطاد وجفورد يصور الاراضي . ثم التقى بهِ ثانية في نيويورك وأراهُ بعض الحلى ولم يكن بينهم صداقة ولا معرفة تامة . ومات جفورد قبلما ظهرت هذه الرغبة في طمسن بستة اشهر ولم يكن يعرف شيئاً عن موتهِ حتى ذهب يوماً الى بيت جفورد ليرى صورهُ فسمع صوتاً ينادي بهِ ويقول لهُ ارى ماذا فعلتُ افلا تقدر ان تأخذ صورتي هذه وتتمها . ولم يكن طمسن من الذين يعتقدون بمناجاة الارواح فظن انهُ كان يحدس حدساً لكنهُ مسك قلم التصوير بيدهِ واتمّ الصورة ثم صوّر صوراً أخرى من الصور التي رسمها جفورد قبل موتهِ ولم يتمها فظنّ انهُ اصيب بدخَل في عقلهِ ومضى الى الدكتور هسلب فرأى هذا ان مسألتهُ تستحق البحث وجمعهُ مع وسيط فظهر له ان روح المصوّر جفورد كانت ترشدهُ لتتميم صورهِ

هذا ما ذكرتهُ مجلة جمعية المباحث النفسية التي يقول صديقنا انها تبحث في ما يعرض عليها بحثاً علمياً مدققاً وعندنا ان الريب في صدق طمسن هذا اقرب الى المعقول من دعواهُ لاسيما وان مهارة المصور في التصوير ليست متوقفة على روحهِ والاَّ لصار كل مصور مصوّراً في يوم او اسبوع ولكنها متوقفة على تمرُّن اعصابهِ وعضلات يدهِ فلو اصيبت يمين المصور بآفة لم تقم يسراهُ مقامها مع ان روحهُ تبقى على حالها

وكتب المستر اوستن في مجلة العقل يعلّم الناس كيف يتناجون عن بعد او يتناقلون الافكار فقال

(١) انظر ملياً في الموضوع الذي تريد نقل الافكار فيهِ

(٢) اختر واحداً من اقاربك او معارفك الذين تميل اليهم او واحداً من الذين يشتغلون بذلك الموضوع او يهتمون بهِ مثلك

(٣) اختر الساعة الثانية صباحاً (اي بعد نصف الليل بساعتين) لانها خير الاوقات لما تريد ويكون الشخص الذي اخترتهُ نائماً في الغالب والنوم يوقف الشعور ولكنهُ لا يمنع ما تريدهُ

(٤) تصور ان الشخص الذي اخترتهُ قريب منك وخاطبهُ بما تريد فكرياً كأنهُ واقف امامك فتنتقل الافكار منك اليهِ ولا بأس بأن تذكر اسمهُ حينئذٍ كأنك تخاطبهُ وجهاً لوجه لكي يزيد انطباع افكارك في ذهنهِ

(٥) اجتهد في نقل افكارك الى من تريد نقلها اليهِ وهو نائم او مصاب بغيبوبة لانهُ يكون اقبل حينئذٍ لتأثر بها منهُ لو كان مستيقظاً

(٦) كرر ذلك مثنىً وثلاث ورباع

(٧) كلم من تريد نقل افكارك اليهِ بسلطة كن بأمرهِ امراً لأن العقول يتسلط بعضها على بعض والعقل الذي يصل اليهِ التأثير يتطلب سلطة العقل الذي يؤثر فيهِ

(٨) اجمع كل قوى عقلك ونفسك في الافكار التي تحاول ارسالها وانت ترسلها ولا تفكر الاَّ فيها كأنك تريد ان تنقل نفسك الى نفسهِ

وقرأنا لغيرهِ ارشادات اخرى في هذا الموضوع قال فيها ان نقل الافكار لا يكون بالكلام بل بالتصوُّر فاذا اردت من شخص أن ينهض ويكتب لك كتاباً فلا تقل لهُ قُم واكتب كتاباً لان نفسهُ لا تفهم كلمة قُم وكلمة اكتب بل تصوَّرْ فعل النهوض من السرير وفعل مسك القلم والكتابة واسناد الفعلين اليهِ اي انقل الصور الذهنية الى عقلهِ لا الكلمات الدالة عليها فان كانت هذه الامور صحيحة لم يبقَ شيءٌ من خرافات الاقدمين الاَّ وهو محتمل الصحة

السلطة للمال

كانت السلطة للقوَّة البدنية فاختصَّ بها الاقوياء الذين يقهرون غيرهم في الحروب وتوارثها اعقابهم وقبائلهم فقام منهم الملوك بالانتخاب او بالارث . ولما كان عملهم الامارة وهي غير منتجة أي لا دخل لها لا من الارض ولا من عمل الغير تناقصوا تفقاتهم من الغنائم او من ابتزاز الاموال من الاغنياء فكانوا يغزون غيرهم من القبائل لاغتنام اموالهم ويصادرون الاغنياء من ابناء قبيلتهم ويبتزُّون ما عندهم فوق ما يضريبونهُ على عامة الشعب من الضرائب وجروا على ذلك الى عهد قريب . فقد بقي ابتزاز اموال الاغنياء شائعاً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا حتى كان اغنياؤهُ يضطرون ان يخفوا اموالهم ويتظاهروا بالفقر اما الاطيان التي لا يمكن اخفاؤها فكانت تؤخذ منهم بثمن او بلا ثمن واذا ابوها فبالعدَّة والكرباج كما هو معلوم . وما بقي جارياً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا كان جارياً في كل البلدان التي المسكونة كلها ولا يزال جارياً في بعضها الى الآن

ولقد نهض الشعب من وقت الى آخر لاسترداد السلطة المغصوبة منهُ فكان يفلح تارةً ويفشل اخرى وكان يتفق ان يتسلط عليهِ رجال أُشربوا حب العدل فيعدلون فيهِ ولا يتقاضونهُ غير ما يكفي لاقامة العدل وحفظ سياج المملكة كما فعل بعض الملوك والخلفاء ولكن تعلمهم هذا كان تجرُّد ارادتهم لا بحق خوَّلهُ الشعب واحتفظ بهِ . ودامت الحال على هذا